كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : اشارة ابن سلام الى اثر البيئة في تنشيط الشعر

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: Ibn Salam's reference to the effect of the environment on revitalizing poetry

لقد أشار ابن سلام من قبل إلى أثر البيئة في تنشيط الشعر والشعراء حين قال معلقا على قلة شعراء الطائف مشيراً إلى سبب قلة أشعار قريش قبل الإسلام قال:

(وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء مثل حرب الأوس والخزرج قوم يغيرون ويغار عليهم والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا)) ولذلك انبرى شعراء قريش لتحريض القبائل العربية وكان لهم دورهم في الرد على شعراء المسلمين أو الفخر بوقائعهم في المعارك التي دارت بين المسلمين. فلا عجب أن ينبري شعراء المسلمين للرد على المشركين تلبية لأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي طلب فيه الدفاع من الدين الإسلامي والرد على المشركين بقوله المشهور (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم. وقال حسان: انا لها. و أخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء.

وهناك رواية أخرى يسأل فيها الشاعر كعب بن مالك الرسول (صلى الله عليه سلم) عن الشعر وكأنه يريد أن يطمئن إلى ما فهمه من دور قصائده في الدفاع عن الدعوة فيسأله: ماذا ترى في الشعر فيجيبه الرسول(صلى الله عليه و سلم)

و قارنا بين الشعر والجهاد «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

وهكذا نلمح في دراسة الواقع الشعري في عصر الرسول (صلى الله عليه و سلم) تشجيعاً للشعر والشعراء وتوجيههم نحو الالتزام بالدين والخلق القويم في أشعارهم وهذا يوضح واقعاً شعرياً مهماً في النظر إلى الشعر وأهمية الشاعر في حمل رسالة الإسلام أو الدفاع عنها ونشرها كما يفعل الداعون أو المقاتلون وقد ذكرت أقوال كثيرة شجع فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الشعراء المسلمين الذي يمكن أن نسميهم شعراء الدعوة كقوله مخاطباً حسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة أو كعب بن مالك:

-لشعرك أجزى عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً.

-هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل.

-اهجهم، فو الله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام.

-اهجهم ومعك جبريل روح القدس.

- اهجهم أنت سيعينك عليهم روح القدس.

-اللهم أيده بروح القدس.

-إن روح القدس معك.

كل هذه الأقوال ترفع مكانة الشاعر إلى مكانة كبيرة تقربه من مكانة المقاتل المجاهد وتجعل كلامه الملتزم بالدعوة مقترناً بالقوة الإلهية التي تسند الرسول (صلى الله عليه و سلم) معاناً بجبريل وفي هذا دلالة كبيرة على طبيعة الشعر في عصر صدر الإسلام وتشجيع الرسول(صلى الله عليه و سلم) الشعراء المسلمين ليوجهوا أشعارهم نحو خدمة الدين. ويبدو هذا الأمر طبيعياً جداً فالرسول (صلى الله عليه وسلم) عربي يعرف أهمية الشعر في حياة العربي، ومكانة الشاعر في قبيلته وقد كانت وفود القبائل العربية تقدم عليه صلوات الله عليه قبل إسلامها فتتصرف تصرف القبائل المعهودة، ويخيل لبعضهم إن الأمر لا يعدو المفاخرة بين محمد القرشي وأتباعه وبينهم. لذا لجاؤا إلى الشعر والخطابة لكونهما وسيلتين لعرض الرأي أو المفاخرة كما قلنا. و ما دامت هذه الوفود لم تسلم بعد فالمسألة لا تتجاوز التباري شعراً أو خطابة وهكذا يقدم وفد بني تميم على رسول الله(صلى الله عليه و سلم) قبل فتح مكة وينادونه من وراء الحجرات فلما خرج إليهم قالوا:

يا محمد جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فخطب خطبة افتخر فيها بقومه الذين هم أعز أهل المشرق، وأنهم أكثر عدداً وأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يبلغ مبلغهم، وأن من يريد أن يفاخرهم فليعدد مثل ما عدد هو من المفاخرمن كثرة الأموال وكثرة العدد والقوة. والواقع أن كل هذه المفاخرة صدرت . من هذا الخطيب بقيم ما قبل الإسلام لأنه يسلم بعد وقد استمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) له ثم طلب من خطيبه أن يقوم فيخطب وهنا نعجب من سرعة تلقي المسلمين لتوجيهات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خطبهم وأشعارهم وتوجيههم نحو الالتزام بمبادىء الإسلام فيما يقولون فكانت المعاني التي وردت في خطبة ثابت بن قيس الخزرجي خطيب الرسول(صلى الله عليه و سلم) في معان إسلامية أو بالأحرى هي دعوة لمبادىء

الإسلام وفخر به، فحمد الله تعالى خالق السموات والأرض الذي اختار محمد(صلى الله عليه و سلم) من بين الناس وائتمنه على كتابه فهو خير العالمين لأنه يدعو إلى الإيمان بالله وقد صدقه المهاجرون الأخيار والأنصار الذين أمروا بالدفاع عن الرسول ودينه حتى يظهر الله أمره ثم يعرض عليهم الإسلام.

«فمن آمن بالله ورسوله متع بماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدأ وكان علينا يسيراً ثم يقوم شاعر بني تميم وهو الزبرقان بن بدر وهنا نجد الفرق كبيراً بين معاني هذا الشاعر الذي لم يسلم بعد ، ومعاني قصيدة حسان التي رد فيها قتله عليه، يقول الزبرقان:

نحن الكرام فلا حي يعادلنـــــا منا الملوك وفينا يقسم الربـــع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس الفزع

إلى آخر الأبيات التي يفخر بها فخراً قبلياً قائماً على المكارم والمثل العليا التي يعتد بها العربي، ولكن مقارنتها بقصيدة حسان توضح لنا توجيه الرسول (صلى الله عليه و سلم) للحركة الشعرية وتسخيرها لخدمة الدعوة من جهة، وفهم الشعراء لموقفهم من هذه الدعوة ووجوب سير الشاعر ملتزماً بالدفاع عن الدين الإسلامي. لقد كان حسان غائباً من المجلس فلما أبلغ بخبر قصيدة الزبرقان وأن الرسول(صلى الله عليه و سلم) يدعوه ليرد علي، قدم وأنشد قصيدة ضمنها كما قلنا فخراً بالقيم العربية أولاً والقيم الإسلامية ثانياً أو بالأحرى وجه الفخر بالقيم العربية وجهة إسلامية فقومه الذين يفخر بهم فضلهم كبير لأنهم آمنوا بالدعوة الجديدة وهم يبينون للناس سنة الدين وهم سباقين إلى الخير في فضل أحلامهم متسع. وهم عفيفون لا يعيبهم طمع يخلصون للصديق ويحاربون العدو وقد أعطوا رسول الله(صلى الله عليه و سلم) له ميثاقهم وطاعتهم وهم مطيعون لأوامره ملبون لدعوته ويستمر بفخره مازجاً بين الفخر بالمثل العربية والمبادئ الإسلامية مما يدلنا على تفهمه لما يراد من الشاعر في تلك الحرب الطاحنة المشركين وكان مطلع قصيدته:

إن الذوائب من فهر وأخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

-وتدلنا تتمة الخبر على عظم مكانة الشاعر في الدعوة الإسلامية لأن قصيدة حسان هذه قد تركت أثرها الكبير في نفس بني تميم وكانوا قد سمعوا نمطاً مثلها في خطبة ثابت الخزرجي فقال سيد وفدهم بعد انتهاء حسان من قصيدته: «وأبي إن هذا الرجل المؤتى له، لخطيبه خطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا واصواته اعلى من اصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا.

ونفهم هذا التوجيه الكريم للشعر والشعراء من خلال رواية أخرى رواها عبد الله بن رواحة بأنه مر بمسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسمع نداء القوم له فعلم أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) يدعوه فانطلق إليه فسلم فقال له الرسول ها هنا فجلس فقال وكأنه يتعجب من شعره فقال: كيف تقول الشعر إذا قلت؟ فقال: انظر في ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين. قال: ولم أكن أعددت شيئاً وأنشدته:

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال: وكأني عرفت في وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الكراهة أن جعلت قومه أثمان العباء فقلت:

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور

يا هاشم الخير إن الله فضلكـــــم على البرية فض ماله غيــر

إلى أن قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فأقبل علي بوجهه متبسماً ثم قال: وإياك فثبت الله.

وهنا لابد من تحليل هذه الرواية، إذ أن من المؤكد أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) ما ان كان يريد سؤال عبد الله بن رواحة، على وجه الحقيقة كيف تقول الشعر؟ أو هل يسأل عربي كالرسول (صلى الله عليه وسلم)مثل هذا السؤال؟ لقد أراد الرسول أن يلفت نظر الشاعر إلى ما يجب قولة، ولذلك ظهر عليه شيء من الغضب حين هجا قريشاً هجاء قبلياً لأنه جعل ثمنهم رخيصاً كأثمان العباء ولكنه أولاً أراد للشاعر أن يخرج من هذا الهجاء الذي قد يغضب المهاجرين من قريش مثلاً ولا يخدم الدعوة الإسلامية ولكن حين تتبعه الشاعر إلى ما يجب قوله وجدنا أبياته سائرة في نطاق الأدب الملتزم فيفخر بلغة الجماعة دون أن يخص قبيلة الأوس أو الخزرج أو قريشاً «نجالد الناس» وفخره ينصب على نصرتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ونزول القرآن الكريم بينهم أما بنو هاشم فإن فضلهم على الناس ليس لمكانة قبيلتهم وإنما لكون الرسول المبعوث(صلى الله عليه وسلم) منهم، ولقد وثبت معاني الشاعر وثبة جميلة حين ربط بين نبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) ، ونبوة موسى توكيداً لدعوة الإسلام بوحدة الشرائع وبرسالة الأنبياء الذين يرسلهم الله الهداية البشرية:

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرة كالذي نصروا

أما الروايات التي ذكر فيها أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) كان يغير الفاظ بعض الأبيات إذا أنشدت أمامه فإننا نجدها لا تتجاوز في معانيها معاني الفخر والمديح وهي لا تخرج أيضاً عن توجيهاته للشعر ليكون في إطار الدعوة الإسلامية ومثلها ومعانيها، فقد ذكر أن كعب بن مالك انشد الرسول (صلى الله عليه وسلم):

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة مذربة فيها القوانس تلمع